ـ قد ترين اني أحضرت من المال ما يرضيك ، وملأت قصاع الطعام ودعوت الجموع الحاشدة ، فماذا بعد هذا تريدين ؟ ولمَ تعرضين بمروءتي وشرفي وأنا السيد الكريم ؟

أجابت : أي سيد ؟! وأي كريم ؟! تفرغ للنساء ، والعرب يقتل بعضها بعضا ؟! هذه عبس أوشكت ان تفني ذبيان ، وتلك ذبيان توشك أن تفني عبس ، والارض تحتج للدم المراق . اخرج الى القوم فامش بينهم بالصلح ، وانههم عن هذا السفه . ويومئذ أنت السيد الكريم !

فخرج الحارث يتفصد جبينه عرقا .

ولقيه خارجة بن سنان فسأله :

ـ لعلك بنيت بأهلك يا حارث ؟

فكان جوابه :

ـ لا والله .

فدهش خارجة ، وقال :

ـ ولمَ يا حارث ؟

ـ ما رأيت كاليوم فتاة عرّضت بمروءتي وشرفي لاني أفرغ للنساء ، والعرب يقتل بعضهم بعضا .

ـ أما قلت لك ان في هذه الفتاة همّة وعقلا ؟ فماذا أنت فاعل ؟

ـ وهل بقي ، يا خارجة ، سبيل الا ان أمشي الى عبس ، والى ذبيان ، فأسعى بالصلح بينهما ؟!

ـ واني اعرف لك شريكا في هذه المحمدة هو هرم بن سنان . فلقد أقسم بأن يدفع من ماله ديات القتلى اذا كفّت القبيلتان عن الحرب ...

قال الحارث :

ـ لعلهم استقلوا الديات . فأنا أدفع من مالي فنضاعف دية كل قتيل ونحقن الدماء .

قال خارجة :

ـ انهم حسبوا الديات ، فاذا هي ثلاثة آلاف بعير .

ـ لتكن ثلاثة آلاف بعير ! فأنا وهرم بن سنان ندفعها . هيا بنا .

*

وقدّر للحارث بن عوف وهرم بن سنان ان يصلحا بين عبس وذبيان ، ويدفعا ديات القتلى من القبيلتين ثلاثة آلاف بعير ، ويحسما الشر ، ويحقنا الدماء .

وكان ذلك كله بفضل امرأة .

ولما دخل الحارث بن عوف على عروسه بهيسة يبشرها بالنبأ ، فتحت له ذراعيها تعانقه ، وقالت :

ـ أهلا بالسيد في العرب ! اليوم قمت بحقي ، لا يوم نحرت الجزور والغنم وملأت بطونا في عرس .

وتسامع الناس بما كان من حديث هذه المرأة في دفع البلاء وحقن الدماء ، فقال أحدهم :

ـ يا للمرأة اذا شاءت !

وقال ثان :

ـ على ان تشاء الخير !

فقال ثالث : ولكنها لا تشاء الا الخير ! لن تشاء تدمير الحياة ما دامت أما ، تتجدد بها الحياة .

رئيف خوري

اغنية عربية

* * *

صلواتي لاله الريح
قرباني في العتمه
ما قدمت من دم ونار
أغنياتي للنهار
كلها عادت الى كفي في الموسم
عادت مطرا ، خصبا ، ثمار ..
سكرت من حملها داليتي
والدن في القبو تهادى والجرار ..
ما يريد « البوم » ؟
غطى بيدري الشمسَ
وحقلي الافق ،
ماذا ؟
ما يريد «البوم» مني ؟!
ضيق الفسحة في عيني المدار ..

* * *

يا اله الريح يا من نحن صلينا ليأتي
ورعينا عدوه في السهل سرا والوهاد
(يوم ما كانت رياح في الوهاد)
يا حكايا الخاتم المسحور والجني
يا اغنية تسمع في الصمت
وذكرى تستعاد
يا صدى من شهرزاد
أي بشرى ؟ ـ
بمعاد أبدي عدت للارض التي
غنّتك ميلادا وصلتك معاد ..
من وراء القبر والعتمة
من افق الرماد
عدت للارض التي غنتك ميلادا
وصلتك معاد ..

* * *

صلواتي لاله الريح
ما قدمت من دم ونار
اغنياتي للنهار
كلها عادت الى كفي ثمارا
والى القبو خمورا في الجرار
كلها سدت دروب « البوم »
شدت حوله سورا
وخلّت اخضر الفسحة في عيني المدار .

قطر ـ دخان

حسن النجمي